

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

The spread of the Phoenician language in the ancient North Africa and its relationship to the Luba language

وفاء بوغرة

جامعة أحد دراية - أدرار - (الجزائر)، boughrara_wafa@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/29 تاريخ القبول: 2022/06/14 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

أشار المؤرخون القدامى إلى الحضور الفينيقي في منطقة الشمال الإفريقي القديم والتي كان يطلق عليها اسم لوبا، حيث تمكنوا من تأسيس مدينة قرطاج وبقدمهم تأثر اللوبيون بالحضارة الفينيقية ومن مظاهر ذلك انتشار اللغة الفينيقية التي تعتبر عنصراً حضارياً انتشر في الشمال الإفريقي القديم، وذلك لسببين أساسيين هما: أن اللغة الفينيقية، كانت أولى اللغات السامية المكتوبة التي تعلمها اللوبيون في زمن مبكر، واستمدوا عن طريقها كثيراً من عناصر الثقافة الشرقية، والسبب الثاني: يتجلى في كون اللغة الفينيقية تبناها سادة القوم وأعيانهم، بعد امتزاجها باللغة اللوبية فتطورت وصار يطلق عليها اللغة البونية وأصبحت لغة التعامل الرسمية، فاحتوت بذلك على معلومات تاريخية ذات أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ الشمال الإفريقي القديم.

كلمات مفتاحية: الشمال الإفريقي القديم؛ اللغة الفينيقية؛ اللغة اللوبية؛ اللغة البونية؛ اللوبيون.

Abstract:

The ancient historians referred to the Phoenician presence in the ancient North African region, which was called Luba, where they were able to establish the city of Carthage. With their arrival, the Lubyans were influenced by the Phoenician civilization, and one of the manifestations of this is the spread of the Phoenician language, which is a civilized element that spread in the ancient North Africa, for two main reasons: The Phoenician language was the first written Semitic language that the Lobbyists learned at an early age, and through it they derived many elements of oriental culture. The official dealings, thus containing historical information of great importance to the history of ancient North Africa.

Keywords: ancient North Africa; the Phoenician language; lobian language; Punic language, Lubyen.

مقدمة:

تعتبر اللغة والكتابة من أهم الخصائص الحضارية التي جلبها الفينيقيون -عند قدومهم للشمال الأفريقي القديم-، والتي عُرفت باللغة الفينيقية، ثم تطورت وأصبحت تعرف باللغة البونية، نتيجة تأثرها باللغة اللوبية، حيث أقبل اللوبيون على الثقافة الفينيقية، واتخذوا من اللغة البونية لساناً للتعبير، لفظاً وكتابة، عن أفكارهم وخلجات صدورهم بحماس لا يقل حرارة عن حماسهم الوجداني إزاء المعبودات الفينيقية، فمكّنوا لهذه اللغة من التعايش مع لغتهم اللوبية في تكامل ووثام قروناً عديدة، بعد زوال الدول التي نمت في كنفها وازدهرت، وهي دولة قرطاج، والممالك النوميديّة، ومملكة موريطانيا، وهذا ما يجعلنا نطرح الاشكالية الآتية: ما مدى انتشار اللغة الفينيقية بالشمال الأفريقي القديم، وكيف أثرت في اللغة اللوبية.

العنوان الرئيسي الأول: اللوبية لغة الشمال الأفريقي القديم

تعد اللوبية لغة سكان الشمال الأفريقي القديم وبها يكتبون*، يرجعها العلماء للأصل السامي حسب ما اطلعت عليه في المصادر والمراجع التي تحصلت عليها في بحثي هذا، ويستدل على ذلك من النصوص المزدوجة، والأسطر الأفقية، وعدد حروفها ثلاث وعشرون حرفاً، وأن حروفها ساكنة. (Chaker, 1982-1983, p. 218)

وتعتبر هذه الفرضية من أدق الفرضيات، حيث أكد بعض المؤرخين أنّ اختراع الكتابة اللوبية يعود إلى احتكاك اللوبيين[†] بالفينيقيين، مما جعلهم يبتكرون كتابة خاصة تحاكي الكتابة

* إن اعتماد اسم ثابت لهذه المنطقة ولسكانها أمر غير متيسر، فقد تعاقبت عليها تسميات لوبا واللوبيون وأفريقيا والأفريقيين والمغرب والمغاربة، وفي الجغرافيا السياسية اعتمدت تسمية أفريقيا الشمالية أو الشمال الأفريقي، الدالة على البلدان الأربعة: ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، كما اعتمد البعض تسمية بلاد البربر أو الأمازيغ، مع العلم أنّي اعتمدت في أغلب الأحيان كلمة شمال أفريقيا، وهي التسمية المستعملة لدى أغلب الباحثين المتخصصين في هذا المجال.

† لبي أو لوبي: مشتق من ليبيا أو لوبا وهو اسم عريق ضارب في القدم، ثار حوله الكثير من الجدل في محاولة لتتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريو، وفي قراءة أخرى لبيو التي تقابل اللغة العبرية لوييم وفي الإغريقية لبيوس وفي اللغة العربية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنباح، وعهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين. لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم اللبيو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة ولأوديسة هوميروس. أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها، أما في

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

البونية، وهما المتطورتان عن الكتابة الفينيقية^{*}، ذات الأصول السامية. ويعلل أصحاب هذا الرأي فكرتهم بوجود معظم النقوش اللوبية في المناطق التي تأثرت بالحضارة البونية، شمال تونس الحالية وشرقي الجزائر (غانم م.، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، 2012، صفحة 120).

وقد أجريت دراسات معاصرة توصل من خلالها باحثون في مجال اللغة والكتابة اللوبية، مثل: "جوزيف هالفي" (Joseph Halvey) و"فيكتور روبرو" (Victor Robo) أوتوروسلر وغيرهم إلى أنّ اللغة اللوبية مشتقة من جذور سامية، معتمدين في ذلك على سلسلة من البحوث الفيلولوجية (Rossler، صفحة 33) الحديثة[†]، ونجد عدداً كثيراً من الكتاب مثل: "كابريل كامبس" (Gabriel Camps) يُقرون أنّ الألف باء اللوبية ما هي إلاّ نسخة من كتابات الحضارات الشرقية[‡].

ويعتمد الآخذون بنظرية الأصل السامي للغة اللوبية على طابع الحروف المتحركة، والتشابه الخفيف بين بعض كتابات جنوب شبه الجزيرة العربية والكتابة اللوبية، على أنّ الكتابة السامية

العصر الروماني، فقد أخذ اسم ليبيا لكن مدلول الاسم تقلص في أواخر هذا العصر، وأصبح يشمل برقة فقط وجزء صغيراً من الساحل الغربي لمصر. (غانم م.، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، 2012، صفحة 148)

^{*} اللغة الفينيقية (La langue phénicienne) تنفرع اللغة الفينيقية عن جذع اللغات السامية الشمالية الغربية مثل الأوغاريتية والعبرية ثم الموابية وسائر اللهجات الآرامية، ويمكن الحديث عنها ابتداء من القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد، كما أنّها تتميز عن لغات الألفية الثانية لهذا الجذع باختزال نظامها الصوتي، فلقد استبدل الحرفان اللهويان الداخليان "غ" و"خ" بالحرفين الأذنين "ع" و"ح"، وعوضت الحروف الأسنانية "س" و"ذ" ثم "ث" بحروف الصغير "ص" أو "ز"، وانقلبت حركة النصب الطويلة "L" إلى حركة ضم طويلة "و"، وانقلبت حركتا النصب والجر القصيرتان (هـ) و(أ) إلى حركتا جر بالإمالة —ي. أما حركة الضم، فانقلبت مفتوحة، واختزلت الحركة المزدوجة، حيث أصبحت حركة ضم طويلة و——. (غانم م.، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، 2012، صفحة 40).

[†] وتكمن أهمية هذا التصنيف لأنه جعل سكان بلاد المغرب والعرب منتسبين إلى أصل واحد، ويعتبر هذا أول تصدي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة، وأول خطوة في دحض المعلومات المغلوطة التي تحولت لدى المثقفين الغارقين في حمأة الاستعمار الثقافي إلى قناعات ثابتة. ينظر (العرباوي، 2012، صفحة 12).

[‡] هذا اعتراف مهم لغابريل كامبس ومع ذلك، فإن هذا الأخير لا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكتاب الذين ينتقدهم، ومنذ السطور الأولى في كتابه انطلق من هذه النتيجة رغم أنه قياسي مع الآخرين أقل تشويهاً. ينظر: (كامبس، 2010، صفحة 331).

الوحيدة التي يمكن أن يكون اللويون قد عرفوها هي الكتابة البونية*، غير أنه من خلال دراسة الأبجديتين ومقارنتهما ببعضهما البعض من قبل الباحثين، يلاحظ أنّ الأبجدية اللوية لها خصائصها القائمة بذاتها، وشكل الحروف بعيد عن الحروف البونية. فالكتابة البونية تتميز بحروفها بالشكل المقوس والحلزوني، أما الحروف اللوية فهي مستقيمة أو مقرنة (Février، 1959، صفحة 324).

أما الفرضية التي جاء بها ليدزبارسكي (Lidzbarski) فقد ربطت الكتابة اللوية بالبنونية الجديدة، وهي لا تلقى قبولا لدى كثير من الباحثين لأن أحد النقوش اللوية المؤرخة، وهو النص الإهدائي في معبد دوقة[†] (139 ق.م) يعود إلى فترة قبل ظهور الكتابة البونية الجديدة المنبثقة من الكتابة البونية الأولى، ولأن هذا النص النقوشي اللوي ذاته كتب أفقيا فهو مصنف ضمن النصوص الحديثة وليس القديمة، ومن حسن الحظ أنّ الوضع الأقدم هو الوضع العمودي، وهذا دليل على أنّ الكتابة اللوية عرفت منذ سنة 139 ق.م بعض التطور بعد احتكاكها بالكتابة البونية، ولكن حسب الباحثين، فإن نص دوقة النقوشي استثنائي من خلال طوله أو من خلال مضمون الكتابة، لذلك يصعب أن نقيم على أساس نموذج أصلي نصوصاً مختلفة كثيراً عن باقي النصوص النقوشية اللوية (كامبس، 2010، الصفحات 331-332).

وبالرغم من ذلك فلا يمكن نكران أنّ النوميديين[‡] أخذوا عن القرطاجيين فكرة الأبجدية ذات الأحرف الساكنة، واقتبسوا منها ما يناسب لغتهم اللوية، وطورها حسب مفاهيم

* (كامبس، 2010، صفحة 324). وقد رأى بعض المحققون أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيراً بارزاً (هذا بالطبع إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسس: سامية وحامية ويافانية) وما يعزز هذا الرأي هو قربا الواضح من اللغة المصرية القديمة، كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند، بفروعها النمودية، والليحانية، والصفائية. ينظر: (العراوي، 2012، صفحة 11).

[†] معبد دوقة (Mausolée de Dougga): يقع هذا المعبد على بعد 300 م من موقع مدينة دوقة النوميديّة، وجد حجارته لها نفس الطول كتب على الأولى نص بالكتابة اللوية وعلى الأخرى نص بالكتابة البونيقية. ينظر: (فتيحة، 2007، الصفحات 311-312).

[‡] النوميديين أو نوميديا كلمة تاريخية مأخوذة من التسمية الإغريقية التي كانت تطلق على المنطقة الممتدة ما بين أملاك الدولة القرطاجية شرقاً والقبائل المورية الذين عرفت بلادهم فيما بعد بموريطنيا التي كانت تشمل المنطقة الواقعة غربي نهر ملوثة (الملوية حالياً) ولا يتعدى

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

التاريخ بعد العام 332 ق.م. لأن معظمهم صار بونيقياً. وقليلهم صار يعرف بالتجار السوريين خاصة في أوروبا القديمة. إذن لابد أن يكون التأثير الفينيقي على الكتابة اللوبية القديمة (النوميديّة) تأثيراً مباشراً (الصويحي، 2013م، الصفحات 283-284)، وهذه أمثلة على ذلك (كما هو موضح بالصورة رقم 2)

الرمز الفينيقي:	(د) Δ	(ط) $\oplus$	(ز) Z	(ج) γ	(ش) ω
الرمز اللبي:	(د) $\wedge$	(ط) $\boxplus$	(ظ) $\#$	(ج) χ	(ش) $\&$
الرمز الفينيقي:	(ت) $+$	(ن) 4	(ي) 2	(ل) L	(ع) o
الرمز اللبي:	(ت) $+$	(ن) 1	(ي) 7	(ل) 11	(ر) o

الصورة مأخوذة من كتاب: (الصويحي، 2013م، صفحة 284)

من خلال الجدول الموضح في الصورة نلاحظ أنّ اللوبيين القدامى قلّدوا أو حرفوا أو اقتبسوا أحرفهم من الكتابة الفينيقية في كثير من الرموز.

ومهما كانت تلك الافتراضات، فإن أصل الكتابة اللوبية لا يزال يحتاج إلى أبحاث عميقة يكون هدفها إنارة الطريق أمام الباحثين في هذا الميدان، حيث يعتبر المهتمون والمختصون بجمع وتدوين مفردات اللغة الأمازيغية الحالية قليلون، وبخاصة أن الموضوع كان إلى الوقت القريب من المحرمات السياسية، وأن الأبجدية اللوبية تتكون من الحروف المتحركة (Consonantique)، وهو ما يزيد في تعقيد قراءتها وفك رموزها وفهمها والبحث بها في تاريخ الشمال الأفريقي القديم (عقون، 2008، صفحة 204).

العنوان الرئيسي الثاني انتشار الفينيقية في الشمال الأفريقي القديم: قَدَم التجار الفينيقيون إلى غربي المتوسط ومعهم موروث حضاري متطور، من بينه اللغة والكتابة الفينيقية*، التي ارتكزت في بداية وجودها بالمستوطنات الفينيقية الساحلية على امتداد الشواطئ المغربية كلها، ثم توسعت

* لا توجد إشارات تاريخية تؤكد استخدام اللوبيين القدامى لأي نوع من أنواع الكتابة، باستثناء الرسوم الكهفية التي عكفوا على إنتاجها آلاف السنين قبل أن يرتحلوا عنها في كل الاتجاهات. إذ يبدو أن الكتابة الفينيقية استهوتهم فاستعملوها كغيرهم من الشعوب. ينظر: (الصويحي، 2013م، صفحة 274).

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

في الأرياف المجاورة فتعلمها الريفيون، الذين تاجروا مع الفينيقيين، وازداد انتشار اللغة الفينيقية بعد تأسيس الدولة القرطاجية سنة 914 ق-م (غانم م.)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، 2011، صفحة 2 ج. ص 28).

ومع ذلك فإن اللغة الفينيقية سرعان ما ضعفت أمام اللوبية اللغة المحلية للسكان الأصليين، ودخلتها تعابير وأسماء محلية أبعدها عن طابعها الشرقي الأصيل (غانم غ.)، 2003، صفحة 125)، ربما بحسب ما أملت ظروف البيئة الجديدة، وتأثير ثقافي ولغوي وامتزاج حضاري واجتماعي واقتصادي، فرضته المرحلة، وصارت الفينيقية تعرف بالكتابة البونيقية. وهذه التسمية يُصَرّ البعض على أنها مركبة من اللفظين "ليو-فينيق"، ثم اختصرت إلى "بونيقية" وأيضاً إلى "بونية" (الصويحي، 2013م، صفحة 274).

من جهة أخرى فإنّ التعابير التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم تناولت التراكيب ومخارج الأصوات التي تؤديها وتجاوزت المرحلة السطحية، بل أصبحت أكثر عمقا (غانم غ.)، 2003، صفحة 125).

العنوان الرئيسي الثالث: تطور اللغة اللوبية وبروز اللغة البونية: نتج عن الاندماج البشري بين الفينيقيين واللوبيين امتزاج اللغتين الفينيقية واللوبية، واصطلح على تسمية اللغة الجديدة باللغة البونية التي سنتناولها بالبحث في هذا العنصر.

العنوان الفرعي الأول: انتشار استعمال اللغة البونية في الشمال الإفريقي القديم: كان الشمال الإفريقي القديم متفتحاً على لغات وثقافات البحر المتوسط، حيث تأثر السكان باللغة الفينيقية وطوروا اللغة البونية واللوبية الجديدة (Néopunique)*، وهي من اللغات القديمة التي وصلت إلى المستوى العجمي[†] ولغة التجارة والمعاملات، ولغة الأدب والثقافة الرفيعة لدى الأوساط المتحضرة، لذلك اعتمدت كلغة رسمية في الممالك النوميديّة ومملكة موريطانيا، حتى ما

* الأثر الذي أحدثه اللوبيون في اللغة الفينيقية هو إخضاعها لنطقهم وهو ما أدى إلى ظهور لغة جديدة متكونة من اندماج اللغة الفينيقية باللغة اللوبية وهذه اللغة الجديدة هي اللغة البونية، ثم اللغة والكتابة البونية الجديدة (Néo-punique) التي ظهرت بعد سقوط قرطاج. ينظر: (عقون، 2008، صفحة 205).

† بمعنى أن البونية لغة متطورة وكتابة لها منظومتها النحوية والصرفية الخاصة بها.

بعد تدهم قرطاجة سنة 146 ق-م، حيث استعملت اللغة البونية في المعابد والنصوص الإدارية والسجلات الرسمية وفي كتابة الشواهد القبرية (عقون، 2008، صفحة 205).

كذلك فيما يخص لغة الإدارة والعملة التي ضُربت داخل مملكة نوميديا، فإنها تدعو إلى الاعتقاد هي الأخرى، بأن الإغليد الماسيلي ماسينيسا كان قد تبنى اللغة البونية، وبذلك فإن هذه الأخيرة كانت هي لغة القصر والإدارة المركزية والمعاملات الرسمية للملك (غانم م.، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، 2011، صفحة ج.3 ص. 113).

وحسب المعطيات التاريخية والأثرية فإن اللغة البونية، بقيت مستعملة كلغة رسمية ولغة التداول اليومية بالشمال الأفريقي القديم على مدى خمسمائة عام تقريباً بعد تدهم قرطاجة، وهذا اعتماداً على المخلفات النقوشية التي عثر عليها، ولاسيما في نوميديا الشرقية (الشرق الجزائري) (السليمان، 2007، الصفحات 191-192).

وحق النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي كان عدداً من سكان مدينة أويا (تقع في ليبيا حالياً) يتكلمون البونيقية، فقد أشار أبولي مادور (Apulee Madaure) لذلك في كتابه "التبرير" (Apologia) حيث تحدث عن سيكيونيوس بودينس (Sicinus Pudens) ابن زوجته بوديتيلا (Pudentilla) الذي نسي اللغة اليونانية التي تعلمها من أمه، كما نسي اللغة اللاتينية تماماً، وكانت البونية اللغة الوحيدة التي يتكلمها بطلاقة (XCV III, Apulius، صفحة 7).

وفي بداية القرن الثالث الميلادي كانت اللغة البونية قد سادت بين الطبقات العليا، حيث تتحدث بعض المراجع أنّ الامبراطور الروماني "سبتيميوس سيفيروس" (Septimius Severus) (193-211م) المولود بمدينة لبدة الكبرى كان يتحدث اللاتينية بلسان بوني، بل أنّ بعض أفراد أسرته كانوا لا يتحدثون اللاتينية، لذلك اضطّر سبتيميوس إلى إرجاع أخته أوكتافيا (Octavilla) إلى مدينة لبتييس ماجنا محملة بالهدايا عند زيارتها له في مدينة روما، منعاً للإحراج فهي بالكاد كانت تتحدث اللاتينية (Ward Perkins، 1981، صفحة 373).

ويؤكد ستيفن غزال (Stéphen Ghazal) أنّ في العهد الإمبراطوري (القرن الثالث ميلادي)، كانت اللغة البونية منتشرة انتشاراً واسعاً خارج المدن، وبقيت لغة التداول اليومية في قرطاجة وفي الممالك النوميديّة على مدى خمسمائة عام على تدهم قرطاجة، ويمكن أن نستدل بما

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

كتبه القديس أوغسطين* (354-430 م)، أن سكان بوادي مقاطعة طرابلس ونوميديا كانوا يتحدثون بالبنونية وكثير ممن تمسكوا بلهجة أجدادهم اللوبية (اُخْصِل، 2007، صفحة ج. 6 ص. 99).
نقرأ كذلك كتابات بالحروف البونية على نقود كل من: لسيْفُكْس، ولابنه، وِرْمينا (Vermina)، ولماسينيسا المتوفى سنة 148 ق.م، وكانت اللغة البونية الجديدة مستخدمة على نقود ملك نوميديا "يوبو الأول" المتوفى سنة 46 ق.م، وكذلك على نقود ملك موريطانيا "بوكوس" المتوفى سنة 33 ق.م (اُخْصِل، 2007، صفحة ج. 6 ص. 102). لقد اضمحل اللسان الفينيقي بالمشرق أمام الآرامية والإغريقية، أما بشمال أفريقيا فقد بقي حياً مدة قرون خصوصاً في البوادي (اُخْصِل، 2007، صفحة ج. 4 ص. 140).

العنوان الفرعي الثاني: استعمال الكتابة البونية: صحب الاندماج اللغوي اندماجاً في الكتابة، أو ربما تأثرت الكتابة الفينيقية بالبيئة الجديدة، بحكم أن التاريخ لا يسجل لقدماء اللوبيين ارتيادهم مجال الكتابة، حتى تختلط بالكتابة الفينيقية أو تتأثر بها. وبعد تدمير المدن الفينيقية في جبال لبنان على يد الإسكندر سنة 332 ق.م، بقي للفينيقيين مدُنهم الجديدة المقامة على السواحل الغربية لحوض البحر المتوسط. من هنا بدأت جميع المقومات الحضارية تُعرف بالبنونية أو البونية، من بينها كانت الكتابة. وقد أكّد المهتمون بالكتابات الشرقية أنّ الحروف البونية إنما هي آخر شكل من أشكال الكتابة الفينيقية. وليس من الغريب أن تتميز الكتابة البونية عن الكتابة الفينيقية الأم في أشكالها (الصويحي، 2013، م، صفحة 278).

أما الكتابة البونية فقد تميزت بمظهر حروفها المائلة والمنحنية في بعض الأحيان. وتعد البونية هي الكتابة الرسمية في قرطاجة العاصمة، وكامل مستوطناتها في غربي المتوسط، ابتداء من نشأتها عام 814 ق.م حتى تاريخ سقوطها سنة 146 ق.م. وقد استمر تداول الكتابة البونية حتى بعد هذه الفترة بديل النقوش التذكارية، والكتابة على المسكوكات (غانم غ.، 2003، صفحة 126).

والحق أن الكتابة البونية الجديدة، كانت قد حلت محل الكتابة البونية القديمة* ابتداء من سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م[†].

* القديس أوغسطين: فيلسوف المسيحية الكاثوليكية الذي كتب مدينة الله وهو جزائري ولد في طاغاست أي سوق أهراس القديمة وقد

عاش بعد زوال قرطاجة بمسماة سنة

ويرى بعض الباحثين المتخصصين في علم الكتابات السامية أنّ الكتابة البونية الجديدة تعد آخر مراحل الانحطاط التي وصلت إليه الكتابة الفينيقية في الشمال الأفريقي القديم، حيث أصبح القائمون بنقش هذه الكتابة يميلون إلى السرعة، وإلى قلة الاعتناء في إعطاء الحرف الهيئة التي يستحقها، وعلى سبيل المثال فإن: حرف الباء ب-، والداد د- والراء ر- أصبح لا يفرق بينهما بل تكتب على شكل ربع دائرة أو قوس (')، مما يجعل الشك والاضطراب ينتاب دارس رموز الكتابة البونية الجديدة (غانم م.)، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، 1982، صفحة 76.

وعند مقارنة الكتابة الفينيقية ووليدتها البونية، نجد أن الكتابة الأم كانت تفصل كلماتها بخط، ثم اختفت تلك الفواصل وأصبحت حروف الكلمات متداخلة، مما صعب قراءتها. إلا أنّ البونيين أسرفوا في مد الحروف إلى أسفل أكثر من ذي قبل، وهذه العملية تُعرف بالتعريقة في الكتابة العربية. إلى جانب أن معظم حروف البونية ساكنة، شأنها شأن الأبجدية الأم، إذ لا يمكن احتساب حرفي "الواو" و"الباء" أحرفاً صوتية خالصة، بل هي نصف صوتية، أما الأحرف الصوتية فقد أهملتها هذه الأبجدية، فيمكننا أن نقول أنها أبجدية ساكنة نقية صافية. وربما حدث ذلك بتأثير من لهجات قدماء اللوبيين، فإلى حد الآن لا زالت اللهجات المغربية ساكنة، إذ يقولون (عَنْب، عَسَل، شُمْع، لُبْن، سُمْن) (حاتم، 1982، صفحة 220).

وقد وجدت آثار الكتابة البونية على امتداد الشريط الغربي للبحر المتوسط، خصوصاً في: تونس وليبيا والجزائر. ومن أهم المكتشفات الأثرية مجموعة نقوش معبد الحفرة البوني بقسنطينة[‡] التي تم العثور عليها ربيع عام 1950م، وهي تتكون من حوالي 278 نقيشة، منها 32

^{*} كان الانتقال من الكتابة البونية إلى البونية الجديدة قد حدث بالتدرج وعلى مراحل، حيث استمرت الكتابة البونية ثم تسربت إليها في بداية الأمر بعض الحروف البونية الجديدة، وبعد ذلك حلت هذه الأخيرة محل الكتابة البونية القديمة.

[†] في الحقيقة ليس هناك فرق جوهري بين فينيقي وبوني، فالمصطلح واحد، والفرق بينهما هو أن كلمة بوني تنفرد بأنها تطلق على تسلسل الحضارة الفينيقية في غربي المتوسط، لا سيما بعد تأسيس مدينة قرطاجة وانفصالها عن صور الأم في شرقي المتوسط على الساحل اللبناني ثم دخول عنصر جديد مع الفينيقيين في بلاد المغرب وهم المغاربة، وبعبارة أوضح فإن مصطلح بوني، وبوني جديد هو عبارة عن تسلسل زمني مرت به الكتابة الفينيقية في بلاد المغرب. ابتداء من تأسيس قرطاجة وانفرادها بالحكم في غربي المتوسط حتى ما بعد سقوطها سنة 146 ق.م. ينظر: (غانم غ.)، 2003، صفحة 126.

[‡] معبد الحفرة البوني بقسنطينة: تم العثور فيه على ما يقرب من 900 نقيشة ما بين سنوات 1875 - 1950م، حيث عثر في هذه الحفرة الأخيرة فقط على 700 نقيشة وهي عبارة عن نصب وأنصاف نصب إهدائية، غير أنها لا تخلو من الأهمية، ذلك أنها زودت الباحثين بمعلومات قيمة تطرقت إلى كثير من الوظائف والمهن ثم الحرف المنتشرة في سیرتا في عهد ملوكها النوميديين خاصة، حيث

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

كتبت بالكتابة البونية الجديدة، و246 كتبت بالحروف البونية، ورغم الطابع النذري لهذه النقوش فإن لها قيمة تاريخية بالنظر لما تتضمنه من معلومات عن مجتمع مدينة سيرتا آنذاك، ومنها اللغة التي كان يستعملها أفرادها في حياتهم اليومية (A.Berthier و charlir، 1955، صفحة 10).

كان ذلك الاكتشاف مثيرا للدهشة، وقد عبر "ألبير غروني" على ذلك الإحساس قائلا: «إنّ ما يدعو للإعجاب هو أن يوجد في سيرتا وفي عمق بلاد البربر إشعاع قرطاجة الحضاري» (A.Berthier و charlir، 1955، الصفحات 10-11). ويتضح من خلال النص مدى تغلغل اللغة البونية إلى ذلك العمق النوميدي.

وقد كتبت النصوص النقوشية الرسمية المتعلقة بالمملكة النوميديّة باللغة البونية، وكانت واحدة منها ذات طابع ديني مزدوجة الكتابة، تحتوي على الترجمة اللوبية لنص بوني، ويتمثل هذا في النص الإهدائي المنقوش على لوح في معبد ماسينيسا بدوقة، وكان النص البوني متبوع بجملة أخيرة لا مقابل لها في الترجمة اللوبية. وإذا كان النص البوني يحتل المكانة الأولى في إهداء معبد ماسينيسا، فإنّ ذلك ليس أمراً عادياً لأنّ البونية كانت اللغة الرسمية في المملكة النوميديّة.

بينما توضح وفرة النقوش اللوبية في دوقة أنّ اللغة والكتابة النوميديّة كانت معروفة عند سكان تلك المدينة خلال القرن الثاني ق.م، مثلما لوحظ في نص إهدائي خاص على غرار نص ضريح أتبان (Ateban) حيث نجد النص اللوبي يسبق النص البوني على اليمين (كاميس، 2010، الصفحات 319-320).

والحقيقة أنّه يصعب على الباحث حصر عدد النقوش البونية والبنونية الجديدة، ذلك لأنّها حتى الآن لم تجمع في كتاب واحد أو تصنف حسب أهميتها ومناطقها الجغرافية، غير أنّها لا تزال متبعثرة بين المكتبات ودور الأرشيف الجزائرية والتونسية والمغربية والعالمية (غانم غ، 2003، صفحة 135). لقد تم العثور على نقوش بونية عديدة في ربوع الممالك النوميديّة المورية، لاسيما في الحواضر ومنها سيرتا* العاصمة النوميديّة.

قدمت لنا تلك النصب، ولأول مرة تقريبا تواريخ مضبوطة تعود إلى عصر بعض هؤلاء الملوك. لمزيد من المعلومات ينظر: (فتيحة، 2007، صفحة 9).

* سيرتا أو كرتان (Kirtan): تسمية سامية فينيقية تعني المدينة مثل: قرت حدثت أي المدينة الجديدة. وهي مدينة نوميديّة توجد بالشرق الجزائري، تحمل اليوم اسم قسنطينة، كانت من أكبر عواصم المملكة النوميديّة المازيسيلية، أطلقها تشهد على عمق الحضارة

وكان للكتابة البونية حضور مكثف في المدن المطلة على سواحل غربي ليبيا، لاسيما في مدينة طرابلس، وفي سبراتة ولادة الكبرى التي توجد أطلالها قرب مدينة الخمس الليبية. وفي تونس حظيت اللغة البونية بظروف مواتية جعلتها تتألق وتوسع رقعتها حتى شملت ربوعا مترامية الأطراف، تمتد من وتيكة وقرطاجة إلى رمال الصحراء، ففي ضواحي تطاوين ورمادة عثر على نقائش بونية تؤكد أنّ الغزو الروماني فشل في إقصائها وتحويلها (ذراع، 2009-2010، صفحة 118).

تثبت تلك النقوش بكمها ومضمونها مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمعات البونية اللوبية. ومن الطرائق ما تم العثور عليه في ضواحي مدينة قالمة بالقطر الجزائري، نصب عليه نقيشة بونية سطرت بالحرف النسخي تدعو عابر الطريق أن قف واقراً. فهي شاهد على انتشار التعليم في المدن والأرياف البونية النوميديّة (ذراع، 2009-2010، صفحة 118). هذا بالإضافة إلى بعض النقوش التي وجدت على المسكوكات والفخار، وغالباً ما تكون قصيرة بحيث لا تتجاوز أسماء الأعلام (غانم م.، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، 2011، صفحة 228). إن بقاء اللغة المنقولة من سوريا إلى إفريقيا واستمرارها حية حول مدينة هيون حتى القرن الخامس للميلاد، ليشهد بأنّ هذه المدينة كانت موطناً مهماً للحضارة الفينيقية (أكصيل، 2007، صفحة ج.2 ص.112).

بعد الغزو الروماني رفضت روما الاعتراف باللغة البونية في الدوائر الرسمية، كما شجعت الأهالي على تعلم اللاتينية والإقبال على ثقافة روما وجعلت من ذلك معياراً يؤهل صاحبه للحصول على امتيازات مدنية، ومنها درجة المواطنة الرومانية، وذلك نوع من الإغراء للترومن، والأخذ بثقافتها، والتخلص من الثقافة البونية (شنيقي، 2003، صفحة 158)، التي زاد امتدادها أثناء الاحتلال الروماني، حيث حافظت الكثير من المدن على استعمال اللغة البونية خلال هذه

البونية فيها ويتجلى ذلك في معالم دينية وجنازية منها معبد التوفاة والنصب التي أقيمت إجلالاً لبعل حامون وتانيت، نذكر منها ضريح الملك ماسينيسا أو ما يعرف بضريح صومعة الخروب. لمزيد من المعلومات ينظر: (مقروس، 2011، الصفحات 3-4).

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوبية

الفترة، ومنها مدينة طرابلس ولبدة ودوقة، حيث تدل الوثائق الأثرية على استمرار اللغة البونية بتلك المدن إلى القرن الثاني بعد الميلاد، رغم غزو اللاتينية للمدن والحوضر في الشمال الأفريقي القلم (العيساوي، 2009، صفحة 67).

كما ظل التخاطب بالبونية متواصلاً ببعض الأرياف القريبة من المدن ذات العراقة البونية إلى القرن الخامس الميلادي، وهو ما شهد به الأسقف أوغسطين، الذي ذكر بأنه كان يواجه صعوبات في إفهام جمهور الريف ما يريده باللغة اللاتينية، وأنه كان مضطراً لاستصحاب المترجمين الذين يجيدون اللغة البونيقية، لقد كانت تلك الثقافة السالفة الذكر، تساهم بشكل أو بآخر في تمهيد الطريق للفتحين العرب المسلمين دون قصد، ذلك لأن المجتمعين المشرقي والمغربي كانا في الحقيقة على اتصال منذ العصر الحجري القديم الأوسط، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن وجود الموروث الحضاري الكنعاني في الشمال الأفريقي القديم، كان وثبة جديدة ووسيلة للانفتاح على ثقافات وحضارات الشرق القديم والبحر المتوسط معاً (غانم م.، نقيشة الكنعاني السيرتية (قراءة جديدة)، 24/23 ديسمبر 2011، صفحة 23)

خاتمة:

بقدم الفينيقيين إلى منطقة شمال إفريقيا في العصر القديم انتشرت لغتهم بسرعة بين القبائل اللوبية المحلية، وباحثك اللغتين الفينيقية واللوبية ظهرت لغة جديدة عُرفت بالبونية، ومن خلال المصادر القليلة التي عدت إليها توصلت إلى عدة نتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- 1- تعتبر اللوبية لغة سكان الشمال الأفريقي القديم، يرجعها بعض العلماء للأصل السامي، لأن اللوبيون القدامى اقتبسوا، أحرفهم من الكتابة الفينيقية في كثير من الرموز. هكذا، فالدخول إلى الفترة التاريخية بالنسبة لبلاد المغرب القديم مرتبط بالكتابة التي جاء بها الفينيقيون.
- 2- نتج عن الاندماج البشري بين الفينيقيين واللوبيين امتزاج اللغتين الفينيقية واللوبية، واصطلح على تسمية اللغة الجديدة باللغة البونية، حيث ساهم اللوبيون في تطوير اللغة الفينيقية، التي تواصل انتشارها على أيديهم بالشمال الأفريقي القديم مدة طويلة، بينما تراجعت الفينيقية بالشرق أمام ضغط لغات أخرى، كالإغريقية، التي غزت مجتمعات الشرق ابتداء من توسعات المقدونيين هناك.

3- يتجلى مظهر التطور في بروز الخط البوني الحديث، حيث كان أكثر قابلية للكتابة العادية، التي كانت ترقم على سطوح مرنة كألواح الطين، ثم ما لبث هذا النموذج الخطي أن أصبح هاماً، يكتب على الألواح التذكارية والنذرية المنحوتة على الحجارة، فصارت النقوش البونية تشكل مصدراً أساساً لا يستهان به في دراسة تاريخ وحضارة الشمال الإفريقي القديم، في غياب المصادر الكتابية.

4- اعتمدت البونية كلغة رسمية للملوك النوميدي، سواء أكان ذلك في الميدان الديني أو الاجتماعي أو الثقافي.

قائمة المراجع:

A.Berthier و L'abbé René charlir. (1955). *Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine*. Paris.

Apol Apulius) .XCV III. (*Epistulae, Meta Morphoses*. Loeb Classical Library.

Chaker. (1983-1982). *Les études de linguistique Berbère pendant la période Coloniale*.

J.B Ward Perkins. (1981). *Roman Imperial Architecture* 2. nd Edition.

James Février. (1959). *Histoire de l'écriture*. Paris: payot.

Otto Rossler. (بلا تاريخ). *Die Numider, Herkunft, Schrift, Sprach*.

أحمد السليماني. (2007). *المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر*. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.

اضطيفان أكصيل. (2007). *تاريخ شمال أفريقيا القديم (الممالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي)* (المجلد ج6). (محمد التازي سعود، المترجمون) الرباط، المملكة المغربية: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

الطاهر ذراع. (2009-2010). *العلاقات الحضارية القرطاجية النوميديّة (814-146 ق.م)*. أدرار: كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس.

جهيدة مهنتل مقروس. (2011). *حاضرة قسنطينة كرتا النوميديّة والرومانية*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد العزيز سعيد الصويغي. (2013م). *اللغة الليبية القديمة وكتابتها*. طرابلس- ليبيا: دار الرواد.

عماد حاتم. (1982). *في فقه اللغة وتاريخ الكتابة*. ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

انتشار اللغة الفينيقية في الشمال الإفريقي القديم وعلاقتها باللغة اللوية

غابريال كامبس. (2010). في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو باديات التاريخ. (محمد العربي عقون، المترجمون) الجزائر:

المجلس الأعلى للغة العربية.

غانم محمد الصغير غانم. (2003). معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

فرحاتي فتيحة. (2007). نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م - 46 ق.م، الجزائر.

الجزائر: منشورات أبيك.

محمد البشير شنيقي. (2003). أضواء على تاريخ الجزائر القلم بحوث ودراسات. الجزائر: دار الحكمة.

محمد الصغير غانم. (1982). التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

محمد الصغير غانم. (2005). مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القلم. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد الصغير غانم. (2011). المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القلم. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد الصغير غانم. (2012). نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القلم. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر

والتوزيع.

محمد الصغير غانم. (24/23 ديسمبر 2011). نقيشة الكنعاني السيرية (قراءة جديدة). بوزريعة-الجزائر: آراء ودراسات

في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة.

محمد العربي عقون. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القلم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد المختار العرابوي. (2012). اللغة البربرية لغة عربية قديمة. تونس: دار نقوش عربية.

محمد علي دبو. (1964). تاريخ المغرب الكبير (المجلد ج.1). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

مها العيساوي. (2009). النقوش النوميديّة في بلاد المغرب القلم. الجزائر: جسور النشر والتوزيع، الجزائر.